الصباح الإسلامية
09
العدد 1995 - السنة السابعة
الثلاثاء 4 محرم 1436 - الموافق 28 أكتوبر 2014
Tuesday 28 october 2014 - No.1995 - 7th Year

استهانة الفرد بما كُلف به وإن كان تافهاً تستتبع شيوع التفريط في الحياة

الأمانة.. حرص المرء على أداء الواجب واختيار الأنسب للقيام بالأعمال

الأمانة تقضي أن نصطفي للأعمال أحسن الناس قياما بها فإذا ملنا عنه إلى غيره لهوى أو رشوة أو قرابة فقد ارتكبنا بتنحية القادر وتولية العاجز خيانة فادحة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» وعن يزيد بن أبي سفيان: قال لي أبوبكر الصديق حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم» والأمة التي لا أمانة فيها هي الأمة التي تعبث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم وتقدم من دونهم وقد أرشدت السنة إلى أن هذا من مظاهر الفساد الذي سوف يقع آخر الزمان. «جاء رجل يسأل رسول الله: متى تقوم الساعة؟ فقال له: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة! فقال: وكيف إضاعتها؟! قال: إذا وُسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة». ومن معاني الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا في العمل الذي يُناط به وأن يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان أجل إنها لأمانة يمجدها الإسلام: أن يخلص الرجل لشغله وأن يعتني بإجادته وأن يسهر على حقوق الناس التي وُضعت بين يديه فإن استهانة الفرد بما كُلف به وإن كان تافها تستتبع شيوع التفريط في حياة الجماعة كلها ثم استشراء الفساد في كيان الأمة وتداعيه برمته. وخيانة هذه الواجبات تتفاوت إثما ونكرا وأشدها شناعة ما أصاب الدين وجمهور المسلمين وتعرضت البلاد لأذاه. قال رسول الله: «إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواء يُعرف به! فيُقال: هذه غدرة فلان» وفي رواية: «لكل غادر لواء عند أمته يُرفع له بقدر غدرته ولا غادر أعظم من أمير عامة» أي ليس أعظم خيانة ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها. ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة إلى شخصه وقرابته فإن التشبع من المال العام جريمة. والمعروف أن الحكومات أو الشركات تمنح مستخدميها أجورا معينة فمحاولة التزيد عليها بالطرق الملتوية هي اكتساب للسحت. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» لأنه اختلاس من مال الجماعة الذي ينفق في حقوق الضعفاء والفقراء ويُرصد للمصالح الكبرى: «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون». أما الذي يلتزم حدود الله في وظيفته ويأنف من خيانة الواجب الذي طوقه فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه وإعلاء كلمته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته.» وقد شدد الإسلام في ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ وشدد في رفض المكاسب المشبوهة.

عن عدي بن عميرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوق كان غلولا يأتي به يوم القيامة فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه فقال: يا رسول الله اقبل عني عملك! قال: ومالك؟ قال: سمعتك تقول كذا وكذا. قال: وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره فما أوتي أخذ منه وما نهي عنه انتهى». وحدث أن استعمل النبي رجلا من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم بها قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ! قال راوي الحديث: فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة! فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه يقول: «اللهم هل بلغت».

الحجامة شفاء لأمراض القلب والدم والكبد

قال -صلى الله عليه وسلم-: «نعم العبد الحجام يذهب الدم ويجفف الصلب ويجلو عن البصر» رواه الترمذي وقد روي أيضا «أن النبي- صلى الله عليه وسلم -احتجم وأعطى الحجام أجرة» البخاري ومسلم.

لقد أثبت العلم الحديث أن الحجامة قد تكون شفاء لبعض أمراض القلب وبعض أمراض الدم وبعض أمراض الكبد.. ففي حالة شدة احتقان الرئتين نتيجة هبوط القلب وعندما تفشل جميع الوسائل العلاجية من مدرات البول وربط الأيدي والقدمين لتقليل اندفاع الدم الى القلب فقد يكون اخراج الدم بقصده عاملا جوهريا هاما لسرعة شفاء هبوط القلب كما أن الارتفاع المفاجئ لضغط الدم المصحوب بشبه الغيبوبة وفقد التمييز للزمان والمكان أو المصاحب للغيبوبة نتيجة تأثير هذا الارتفاع الشديد المفاجئ لضغط الدم - قد يكون اخراج الدم بقصده علاجا لمثل هذه الحالة كما أن بعض أمراض الكبد مثل التليف الكبدي لا يوجد علاج ناجح لها سوى اخراج الدم بقصده فضلا عن بعض أمراض الدم التي تتميز بكثرة كرات الدم الحمراء وزيادة نسبة الهيموجلوبين في الدم تلك التي تتطلب اخراج الدم بقصده حيث يكون هو العلاج الناجح لمثل هذه الحالات منعا لحدوث مضاعفات جديدة ومما هو جدير بالذكر أن زيادة كرات الدم الحمراء قد تكون نتيجة الحياة في الجبال المرتفعة ونقص نسبة الأوكسجين في الجو وقد تكون نتيجة الحرارة الشديدة بما لها من تأثير واضح في زيادة افرازات الغدد العرقية مما ينتج عنها زيادة عدد كرات الدم الحمراء.. ومن ثم كان اخراج الدم بقصده هو العلاج المناسب لمثل هذه الحالات ومن هنا جاء قوله- صلى الله عليه وسلم-: «خيرما تداويتم به الحجامة» ورد في الطب النبوي: ابن قيم الجوزية. وهو قول اجتمعت فيه الحكمة العلمية التي كشفتها البحوث العلمية مؤخرا.

مشروعية التيمن ببركة آل أبي بكر

قال عبدالرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما-: ان أصحاب الصفة كانوا اناسًا فقراء، وان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، وان أبا بكر جاء بثلاث... وان أبا بكر تعشى عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجاء بعد ان مضى من الليل ما شاء الله تعالى، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ أو قالت: عن ضيفك، قال: وما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، وقد عرضوا عليهم فغلبوهم. قال: فذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غنثر فجدع وسب، وقال: كلوا هنيئًا وقال: والله لا أطعم أبدًا، وحلف الضيف ألا يطعمه حتى يطعم أبوبكر، فقال أبوبكر: هذه من الشيطان. قال: فدعا بالطعام فأكل، فقال: وايم الله ما كنا نأخذ لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها، فقال: حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر اليها فاذا هي كما هي واكثر، فقال لامرأته: يا اخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني هي الآن لأكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل أبو بكر وقال: انما كان ذلك من الشيطان -يعني يمينه- ثم أكل منها لقمة ثم حملها الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين القوم عقد فمضى الأجل فتفرقنا اثني عشر رجلا، مع كل واحد منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل منهم فأكلوا منها أجمعين.

وفي هذه القصة دروس وعبر، منها:

أ- حرص الصديق على تطبيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على اكرام الضيف، مثل قوله تعالى: «فقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ» [الذاريات: 27]. وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه».

ب- وفي هذه القصة كرامة للصديق؛ حيث جعل لا يأكل لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر اليها أبوبكر وامرأته فاذا هي أكثر مما كانت، فرفعها الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا. وهذه الكرامة حصلت ببركة اتباع الصديق لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جميع أحواله، وهي تدل على مقام الولاية للصديق. فأولياء الله هم المقتدون بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، فيفعلون ما أمر به وينتهون عما زجر، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين.

ج- تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها-: ان أبابكر لم يحنث في يمين قط حتى أنزل الله كفارة اليمين، فقال: لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها الا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني. فكان اذا حلف على شيء ورأى غيره خيرًا منه كفر وأتى الذي هو خير. وفي هذه القصة ما يدل على ذلك؛ حيث ترك يمينه الأولى اكرامًا لضيوفه وأكل معهم.

ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر

قالت عائشة -رضي الله عنها-: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعض أسفاره، حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فاقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على التماسه، واقام الناس معه، وليس على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس أبابكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ اقامت برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبوبكر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قلت: فعاتبني وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على فخذي، فنام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم: «فتيَمَّمُوا صعيدا طيبًا» [النساء: 43]. فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته».

وفي هذه القصة يظهر حرص الصديق على التأدب مع رسوله، وحساسيته الشديدة على ألا يضايقه شيء، ولا يقبل ذلك ولو كان من أقرب الناس وأحبهم الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كعائشة رضي الله عنها، فقد كان قدوة للدعاة في الأدب الجم مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ومع نفسه ومع المسلمين.

وصف الجنة والنار في القرآن الكريم وأثره على الصحابة

ركز القرآن المكي على اليوم الآخر غاية التركيز، فقل أن توجد سورة مكية لم يذكر فيها بعض أحوال يوم القيامة وأحوال المنعمين وأحوال المعذبين، وكيفية حشر الناس ومحاسبتهم وحتى لكأن الإنسان ينظر إلى يوم القيامة رأي العين.

1- الجنة لا مثيل لها:

وقد جاءت الآيات الكريمة مبينة وواصفة للجنة، بما لا يمكن أن يكون له مثيل في الكون، فأثر ذلك في نفوس الصحابة أيما تأثير.

إن نعيم الجنة شيء أعده الله لعباده المتقين، نابع من كرم الله وجوده وفضله، ووصف لنا المولى عز وجل شيئا من نعيمها، إلا أنه ما أخفاه الله عنا من نعيم شيء عظيم لا تدركه العقول، ولا تصل إلى كنهه الأفكار قال تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [السجدة: 16-17].

2- أفضل ما يعطاه أهل الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب، فينظرون إلى وجه الله، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» وجاء في رواية أخرى: ثم تلا هذه الآية: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

إن التصور البديع للجنان والاعتقاد الجازم بها مهم في نهضة أمتنا، فعندما تحيا صورة الجنان في نفوس أفراد الأمة، يندفعون لمرضاة الله تعالى ويقدمون الغالي والنفيس ويتخلصون من الوهن وكراهة الموت، وتتفجر في نفوسهم طاقات هائلة تمدهم بعزيمة وإصرار، ومثابرة على إعزاز دين الله.

وصف النار في القرآن الكريم وأثره في نفوس الصحابة:

كان الصحابة يخافون الله تعالى ويخشونه ويرجونه، وكان لتربية الرسول صلى الله عليه وسلم أثر في نفوسهم عظيم، وكان المنهج القرآني الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل الأفاعيل في نفوس الصحابة؛ لأن القرآن الكريم وصف أهوال يوم القيامة ومعالمها، من قبض الأرض ودكها، وطي السماء، ونسف الجبال، وتفجير البحار وتسجيرها، ومور السماء وانفطارها، وتكوير الشمس، وخسوف القمر، وتناثر النجوم، وصور القرآن الكريم حال الكفار وذلتهم وهوانهم وحسرتهم وياسهم وإحباط أعمالهم، وتحدث القرآن الكريم عن حشر الكفار إلى النار، ومرور المؤمنين على الصراط، وخلاص المؤمنين من المنافقين( ) وكان لهذا الحديث أثره العظيم في نفوس الصحابة، وصور القرآن الكريم ألوان العذاب في النار فأصبح الرعيل الأول يراها رأي العين.

مفهوم القضاء والقدر وأثره في تربية الصحابة رضي الله عنهم:

اهتم القرآن الكريم في الفترة المكية بقضية القضاء والقدر، قال تعالى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» [القمر: 49]، وكان صلى الله عليه وسلم يغرس في نفوس الصحابة مفهوم القضاء والقدر.

فكان للفهم الصحيح، والاعتقاد الراسخ في قلوب الصحابة لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، عادت عليهم بخيرات الدنيا والآخرة، فمن تلك الثمرات:

1- أداء عبادة الله عز وجل.

2- الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك؛ لأن المؤمن يعتقد أن النافع والضار، والمعز والمذل، والرافع والخافض هو الله وحده سبحانه وتعالى.

3- الشجاعة والإقدام، فإيمانهم بالقضاء والقدر جعلهم يوقنون أن الآجال بيد الله تعالى وأن لكل نفس كتابًا.

4- الصبر والاحتساب ومواجهة الصعاب.

5- سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال.

6- عزة النفس والقناعة والتحرر من رق المخلوقين.

إن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة وهذه من باب الإشارة.

ولم تقتصر تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه على تعليمهم أركان الإيمان الستة المتقدمة، بل صحح عندهم كثيرًا من المفاهيم والتصورات والاعتقادات، عن الإنسان والحياة والكون والعلاقة بينها، ليسير المسلم على نور من الله، يدرك هدف وجوده في الحياة، ويحقق ما أراد الله منه غاية التحقيق، ويتحرر من الوهم والخرافات.